الفتـــــــاة المصرية

فى المدرسة والبعثة والمنزل

آراء جليـــلة ونصائح غاليـــة

من محدث مع السيدة نظلة الحكيم سعيد

في هذا الحديث القيم ـ الذي نطالع به قراء «المعرفة» ـ آراء ناضجة ،وحكم غالية، ونظرات سديدة ، تعربة الفضل والبحاثة القديرة السيدة نظلة الحكيم سعيد . وفيه ـ الى ذلك ـ نراح مختلفة من التفكير الهادى ،والمنطق السليم ، تسدى السيدة الجدة الى فتيات العصر، والى أمهات المستقبل . وفيه ـ الى ذلك أيضاً ـ توجيه دقيق لأنظار السيدات والبنين ـ وكل من يتولى شأن تهذيب الفتاة ـ الى مواطن الضعف وسبيل معالجتها .

وليس ذلك بالأمر الجديد أو الذى يحدث ،فقد عودتنا السيدة نظلة ـ فى بحوثها ـ أن تكون دقيقة رائعة ، سامية المغزى ، نبيلة الغرض . ولهذا نعتقد أن هذه الآراء التى جمعها مندوب « المرأة » من هذا الحديث الحافل ستكون موضع اجلال وتقدير ؟ المحرر

هى الساعة الباقية الخالدة ، تلك الساعة التى مضيتها فى حديث ممتع شائق مع البحاثة المثقفة السيدة نظلة الحكيم سعيد،وأكبر اليقين عندى أنها كانت أخلد ساعة بلوتها فى الحياة: لأن الحديث الطلى متى تحدثت به المرأة المثقفة كان من نوع بالغ السمو ،ومن صنف رائع الأثر... وليست السيدة « نظلة الحكيم » إلا ذلك المثل الذى ينشده المصلحون للمساء،فقد لا يبت أعمق الدراسات ، وزاولت جوانب العلم العويصة ،وكانت فى كل مراحلها سديدة موفقة الخطوات ؛ وقد يكون من حق أن أصارح القراء ـ صادقاً ـ بهذا الأثر الذى أودعته فى نفسى تلك الساعة العزيزة ، وهذا الحديث الطلى ؛ فأقول لهم إن السيدة الفضلى تجمع إليها ميزة الخطيب الساحر ،فى صوتها نبرات آسرة،وفى أدائها سحر رائع ؛ وفى توجيهها للقول سداد وتوفيق.

أما حديث السيدة البحاثة،وأما نصائحها ، وأما آراؤها ؛ فإليك منها ذلك النوج الذى يدل على أنها ملمة بالظروف المحيطة بالفتاة ، ومتنبهة إلى ما تحتاجه البلاد فى هذا الجانب .

الفتاة فى مرحلة الدراسة:

قالت السيدة الفضلى :

« تسألنى رأيى عن الفتاة المصرية فى مرحلة الدراسة فى مصر ، فأقول لك: إنها تعيش فى

(المربية الفضلى السيدة نظلة الحكيم سعيد)

مدرستها موزعة الذهن بين حالتين تستطيع أن تدرك خطرها متى علمت عليها فى دراسة وتحقيق.

أما الحالة الأولى ، فتلخص فى أن الفتاة المصرية حين ترى أن حياتها قد أفلتت بها عن حجرات البيت ، فإنها تستهل حياتها فى المدرسة باستغلال الجديد كله ، وازدراء القديم كله ، دون أن تأخذ من الجديد جوانبه الداعية إلى الكمال ، البعيدة عن موطن الضلال ، ودون أن تجتوى فى القديم نواحيه الداعية إلى الكسل والقعود ... ولو أنها وقفت موقفاً وسطاً بين الجديد والقديم ، لكان ذلك أجدى عليها ، وأقمن بها ؛ لأن الجديد على إطلاقه يدفع بالفتاة إلى حمأة التيه ، وهوة الدمار ؛ وقد تستطيع الأم وحدها أن تكافح هذه العلة الجسيمة بما ترشد به فتاتها من ألوان الرأى السديد ، وما فى ذلك النصح من خير على « فتاة المدرسة » لأنه نصح طبيعى ، ولأنه إلى ذلك وليد التجارب التى ازدحمت بها عشرات السنين » .

« قد تفهم الفتاة المتعلمة أن النصيحة الصادرة إليها عن أم لم تمارس الدراسة ، إنما هى نصيحة ممجوجة ثقيلة مزدراة ؛ ولكنها متى أدركت أن الفتاة الانجليزية ـ مثلا ـ تعيش فى ظل الآراء التى تزجيها إليها الأم الانجليزية حتى تبلغ سنها واحداً وعشرين ربيعاً ؛ متى أدركت الفتاة ذلك استطاعت أن تقدر ما لنصائح الأم من أثر ، وما لها من رعاية وتقدير » .

« ثمة حالة أخرى تستطيع أن تصور بها تأخر الفتاة المصرية فى دراستها ، هى أنها تتقدم إلى الناحية العلمية التى لا تستطيبها طبيعتها ، وإنما تتابع التيار وحده ؛ فتدرس الطب وهى ليست أهلا لدراسة الطب ، وتدرس الحقوق وفى نفسها مضض أى مضض من أثقال القانون ، ولا تكون النتيجة بعدئذ إلا إخفاقاً ... وما أحسب إلا أن الفتاة المصرية لها عذر فى هذا الإخفاق أى عذر ، لأنها تريد النفاذ إلى دخيلة الكمال العلمى ؛ ولكن ... هل قدر لها الأساتذة مبلغ ما تحتمله طبيعتها من دراسة هذا الفن أو ذاك ؟ وهل قالوا لها حين شاءت دراسة الطب ـ مثلا ـ إن دراسة الحقوق خير لها وأولى » .

« إن اختبارات الأساتذة حين الدراسة الثانوية تحقق لهم ميول الطالبة أو الطالب ؛ وهناك فى الغرب ، وفى ألمانيا وفى انجلترا ـ بنوع خاص ـ تهيء الأساتذة للطلبة مرحلة التعليم الأخيرة ، لأنهم يدركون مبلغ استعداد طلبتهم الفطرى ؛ وقد دلت التجارب العديدة على أن إرشادات الأساتذة كثيراً ما كانت بالغة التوفيق ، حتى إن الطالب الذى يباعد هذه الإرشادات ويغامر بنفسه فى تيار غير التيار الذى تخيره أساتذته له ، قلما يستطيع المضى حتى نهاية الشوط . »

« هذا فى الغرب ، أما فى مصر فإن الباب مفتوح على مصراعيه ؛ ولست أدرى لم لا يعمل الأساتذة بما سبقهم إليه إخوانهم فى بلاد الغرب ، حتى يزيحوا عن الفتاة المصرية أعباء الاخفاق فى حياة علمية تريد مخلصة أن تقتعد فيها أوج النجاح » .

البعوث النسائية

« وتسألني عن البعوث النسائية ، فأقول لك : إنها خير ما أفادت به النهضة العلمية الحديثة في مصر ؛ ذلك أن الفتاة المصرية كثيراً ما برهنت في بلاد الغربة وبين أترابها من الغربيات على أنها ذات ذكاء فطري ، ومواهب سليمة وخصائص نادرة » .

« ولكني أرى أنه يجب قصر البعثات على بعثات الجامعات ؛ لأن الطالبة التي تنتسب للجامعة ، إنما تحمل معها تجارب الحياة العلمية كاملة ، لتعود إلى وطنها مشمولة الفائدة ، مرجوة النفع ؛ ولأن التعليم الجامعي في الغرب قد استطاعت العصور الماضية بما فيها من عوامل الاصلاح العديدة أن تكسبه روحاً فيها حياة ، وفيها نشاط ، وفيها قوة ودأب ... أما هذه البعوث التي ترسل إلى المدارس الغربية ، فليس هنالك ما يبررها ؛ لأن مدارس المعلمات العادية هناك لا تزيد بكثير عن مدارسنا ، بل إنها لم تكن ذات أثر يربو على أثر « مدرسة المعلمات السنية » أيام كان بها قسم المعلمات » .

« ومهما يكن من أمر ، فإن للبعوث النسائية مزايا جديرة بالاذاعة ، فهي تعطي الفتاة المصرية فرصة سانحة تستطيع فيها أن تعتمد على نفسها في اعتماد في حفظ كرامتها ، وتركيز مستقبلها العلمي ؛ وهي تضع حيال الفتاة طائفة من الاختبارات الجديدة التي تكوّن بها نفسها تكويناً » .

« وليس من شك في أن الفتاة التي تُبعث إلى الغرب بعد العشرين من عمرها ، إنما تستفيد من هذه البعثة فوائد لا تستطيع أن تنالها الفتاة الصغيرة ؛ لأن الفتاة الكبيرة تقوى على احتمال الحياة في بلدان تيار المدنية الحديثة فيها جارف كالسيل ؛ أما الفتاة الصغيرة ، فقلما تستطيع السمو على هذا التيار الشاق » .

« أما الذي يؤلمني دائماً فهو أن يخلو القطر المصري بأجمعه من مدارس المعلمات الخاصة بدراسة تربية الأطفال ، ودراسة التدبير المنزلي ، والألعاب الرياضية ؛ مما جعل بنات الطبقة الراقية محرومات من دراسة هذه العلوم عند وجود الرغبة » .

« نحن نسمع أن في مصر مدارس لرياض الأطفال ، وكذلك للتدبير المنزلي ، وأن مدارس رياض الأطفال تؤدي واجبها في توفيق جم ؛ وكذلك نسمع عن وجود معلمات للرياضة البدنية .

« فإن كان المقصود بمدارس رياض الأطفال تلك المدارس التي يتعلم فيها الأطفال فهذا حقيق ؛ ولكني أقصد المدارس العالية التي تخرج معلمات اختصاصيات في فن تعليم وتربية الأطفال ؛ أما بخصوص التدبير المنزلي ، فليس عندنا إلا فرع واحد في مدرسة معلمات شبرا (بولاق قديماً) ؛ وهذا قاصر على معلمات التعليم الأولي (الكتاتيب) » .

« أما السُّنة التى كنا نسير عليها فى إعداد معلمات للرياضة البدنية ، فهى تدريب إحدى المتفوقات فى هذا الفن ؛ لتكل إليها أمر تعليم الرياضة البدنية فى جميع فصول المدرسة » .

فقلت: ألم يكن ضمن أعضاء البعثات من تخصص فى هذه الدراسات : الأطفال، والتدبير المنزلى ، والرياضة البدنية ؟

فأجابت بما يأتى :

« نعم، لقد عنيت الوزارة بإرسال عدد منهن للتخصص فى هذه العلوم، ولكن عددهن قليل بالضرورة ، وهؤلاء قد خطون بهذه الفنون خطوات واسعة رغم ما اعترضهن من صعاب » .

فقلت: ألا يشتمل برنامج الدراسة فى مدارس البنات على قسط وافر من هذه المواد النسوية؟

فقالت: « الآن يدرس القدر اليسير فى المدارس الابتدائية فقط، ولهذا لا يمكن أن تدرس هذه العلوم فى شىء من التحليل العلمى أو التحليل العملى الواسع » .

فقلت : وهل ترين فى هذا شيئاً من التأثير فى حياة الفتاة المستقبلة ؟

فقالت: « وأى تأثير ! إنى أؤكد لك أنى ألحظ الآن فى الفتاة خروجاً عن طبيعتها ومميزاتها النسوية ، مما سيؤدى إلى إيجاد ولدين فى الأسرة التى خلق الله فيها ولداً وبنتاً » .

فقلت: وما الحل الذى ترينه مناسباً لهذه المشكلة ؟

فقالت: « إن الحل الذى أراه هو فتح مدارس خاصة بتعليم الطالبات فنون دراسة الأطفال والتدبير المنزلى والألعاب الرياضية؛ حتى إذا كان لأية فتاة ميل إلى هذه المواد ـ بعد انتهائها من الدراسة الثانوية ـ تجد مجالا لاسماً لها بذلك التخصص، وبذلك تحصل الأمة أيضاً على سيدات مختصات فى العلوم النسوية التى تقوم عليها حياة الأسرة المنظمة، إلى جانب من يتخصصن فى العلوم الجامعية البحتة ؛ وليست هذه بدعة نخترعها نحن فقط، بل إن الأمم الراقية ـ وأخص بالذكر انجلترا ـ أصبح فيها عدة مدارس عليا تعيش فى ظل الجامعات (أى لها شرف الانتساب إلى الجامعات) تخرج معلمات مختصات فى التدبير المنزلى ، ورياض الأطفال ، والألعاب الرياضية ؛ ولهذا فإن الاقبال شديد عليها » .

بعد البعثة

قلت : هل تجد الآنسة المصرية التى تعود من الخارج مجالا لاستعمال معلوماتها ؟

فقالت : « لقد حدثتك عن فوائد البعوث النسوية، وحددت لك وجوه النفع فيها، ولكنى لا أكون مغالية إذا قررت أن الكثيرات منا لا يجدن مجالا لاستعمال المعلومات التى تخصصن فيها لأمور كثيرة يضيق المقام عن ذكرها الآن » .

نصائح . . .

وسألت السيدة الفضلى عن النصائح التى ترى فى توجيهها ما يهيء للطالبات حياة علمية سعيدة ، فقالت :

« أنصح الوالدين والحكومة أن لا يبعثوا إلى الغرب أية فتاة يقل سنها عن عشرين عاماً ، لأنها حين تبلغ هذه السن تكون قد حصلت فى مدارسنا تحصيلا علمياً يهيء لها أن تكون لها مركزاً علمياً بين زميلاتها فى الغرب ، ولأنها - إلى ذلك - تستطيع فى هذه السن أن تدرأ عن نفسها شر الوقوع فى هوة المخاطر الخلقية السحيقة »

« وليس من شك فى أن هذه المخاطر هى التى دعت الوزارة إلى تشديد الرقابة على الطالبات ، وإلى تعيين سيدة انجليزية للعناية بهن ، بل إلى تعيين هؤلاء (الشبرونات) اللواتى يعشن مع الطالبات كالظل ؛ ولكنى أنصح بأن يوضع زمام الطالبات فى يد الجامعة ، لأن لهن من رقابة الأساتذة فيها والرؤساء المختصين بتقويم الخلق ، ما يغنى عن هذه الرقابة المقوتة ، التى لا تجدى أثراً متى أرادت الفتاة أن تسترسل فى السعى إلى شأو الرذيلة ، خصوصاً وأنه غير ميسور إيجاد من تقبل وظيفة (شبرونة) من طبقة راقية متعلمة ، ولشعور الطالبات بضعف مركز هؤلاء (الشبرونات) »

« وأنصح للفتاة المصرية - سواء أكانت فى خارج مصر ، أو فى أية مدرسة فى مصر - أن تجعل الحزم رائدها ، وأن تفكر طويلا قبل البدء فى أى عمل ، فإن الطيب والردىء من أعمالها سيكون موضع هجوم ونقد واستهزاء ، ولا يمكنها أن تتغلب على هذه الصعوبات إلا إذا كان ما تخرجه للمجتمع والرأى العام أقوى من أن تؤثر فيه آراء سخيفة ، أو نقد متحيز ، أو هجوم لا رائدة فيه »

« ولتكن الفتاة دائمة البحث الدقيق عن الحقائق العلمية الدفينة ، دون أن تكتفى من ذلك بحصولها على الشهادات ، أو الدرجات العلمية الممتازة ؛ فإن العالم العلمى دائم التقدم ، ومن تأخر خطوة واحدة فقد حلقات علمية كثيرة ، لا يتأتى له استرجاعها إلا بعد جهد وعناء كبيرين »

« وأنصح للفتاة أن لا تسير على قاعدة مجاراة الرجل فقط ، لأنى وجدت من خبرتى الطويلة أن الفتاة التى تباعد ما أسميه « العلوم النسوية » ، إنما تفقد الشىء الكثير من مميزاتها ومميزات الأنوثة بصفة عامة ؛ ومهما طالبنا بمساواة المرأة للرجل ، فإننا لن نطالب بفقدانها مميزاتها النسوية أبداً . . . وفى ذلك كله ما يدعونى إلى الإلحاح فى أن يقدم القائمون بالأمر إلى الفتاة المصرية نصيبها من التعليم المنزلى ، أسوة بما هو معمول به فى البلاد الراقية ؛ ولا أقل من أن تنشىء الحكومة مدارس خاصة للتدبير المنزلى ، ورياض الأطفال ، والرياضة البدنية ، حتى يفتح المجال بها أمام من تريد - بناء على ميولها الطبيعية - أن تتلقى هذه العلوم . »

ع . ع